(مهزلة في حوار)

تتمة...

فؤاد التكرلي

[صباح شتوي جميل في مكتب المدير العام. شمس زاهية تملأ المكان؛ أثاث فخم من خشب السّنديان. مائدة كبيرة، وعدّة أرائك، وكراس جلديّة موزّعة على جانبي المكتب. نافذة عريضة إلى اليسار وأخرى في الخلف. آلتا هاتف بجوار مقعد المدير، وساعة حائط كَهربائية تشير إلى الثّامنة.

يُرفع السّتار عن فرّاش المدير العام العجوز يقوم بمسح المائدة للمرّة الأخيرة. يُفتح الباب ويدخل المدير العام سائراً بخفّة وهو يحمل حقيبة عمل سوداء ويرتدي معطفاً أسودَ ثقيلاً. يبدو عليه أنه يقترب من الخمسين، مريح التّقاطيع، في حركاته حزم ويشوبها بعضُ التوتّر.

يضع الحقيبة على المائدة].

المدير العام ـ صباح الخير، خميس.

[يبدأ بنزع معطفه]

خميس ـ صباح الخير، بيك.

المدير العام ـ أعوذ بالله. عدنا لألقابك العتيقة يا خميس. ألم أقل لك..

خميس ـ نعم يا سيدي، أعرف. هفوة أخرى.

[يكمل المدير العام نزع معطفه فيبدو في بذلة رمادية أنيقة مع ربطة عنق خضراء]

المدير العام ـ .. والهفوات تتراكم. حذار!

[يسلّم المعطف إلى خميس فيتناوله ويهمّ بالخروج]

قدح شاي. لا تترك أحداً يزعجني. أريد أن أدرس بعض القضايا بهدوء.

[يخرج خميس. يجلس المدير العام إلى مكتبه ويفتح الحقيبة. يتناول بعض الملفّات منها فيضعها أمامه، وينحّي الحقيبة جانباً ثم يخرج نظارته ويبدأ بالقراءة.

دقائق. يدخل خميس بسَكينة حاملاً قدح الشّاي. يضعه على المائدة ثم يعود خارجاً].

المدير العام ـ هامساً ـ شكراً. أذكّرك.. لا تدع أحداً يزعجني.

[يخرج خميس. يشرب المدير العام شايه فيما هو يقلب الأوراق ويقرأ. ثم يتوقّف ويرفع النّظارات عن عينيه لحظات.. متجهاً بنظره نحو النّافذة]

غريب.

[يستدير نحو آلة الهاتف فيرفعها]

صباح الخير أم سليمان. اطلبي لي الأستاذ عبد القادر.. مدير الدّائرة الاقتصادية.. نعم؟ أبو أكرم؟ أي نعم.. أبو أكرم. شكراً.

[لحظات. المدير العام يغرق نظره بسهوم في فضاء المكتب]

غريب

[يرنّ جرس الهاتف. يرفع السّماعة]

هالو.. أستاذ عبد القادر؟ صباح الخير. كيف الحال يا أبا أكرم الورد؟ والأهل والأولاد؟ اسمع. لا مجال للشكوى بعد الآن. خاصّة أنت. لم تقصّر مع السّهر والقمار.. والشّؤون الأخرى التي تعرفها.

[ضحكة قصيرة]

هذه هي الحياة. لا تجعل الشّكوى عادة مستديمة. إنّها عادة مستحبّة أحياناً، ولكنّها تثير الملل إذا استمرّت. نعم؟ آه. طبعاً.. طبعاً. أحاول أنا أيضاً. ماذا أقرأ؟ لا شيء جدّياً. لم أعد أستلم المجلّات الاقتصادية ولا الكتب. انقطع عنّي البريد كما تعلم. الأدب؟ ماذا عنه؟ أنت تمزح. أنا لا أقرأ أشياء كثيرة في هذا المضمار، ولكن ذوقي حادّ فيما يخص الرّوايات. طبعاً، أخي عبد المجيد لعب دوراً في تنمية ذوقي الأدبي. نعم؟ آه.. أنت تعرف رأيي فيه وفي أدبه.. أعني رواياته؛ يستفيد من ماضيه السياسي الفارغ ليصنع اسماً أدبياً. سحقاً لهذه الصفوة المشبوهة!

[ينصت ويضحك]

اسمعْ، والله لو شرب كلّ ما تنتجه

سكوتلندا من الويسكي لما كتب رواية تبقى. لا شيء أصيلاً لديه ليقوله. إنّه مشروع فاشل لمفكّر مزيّف. قد يصير وزيراً أو ما أشبه.. أمّا أديباً فلا.

[يضحك]

اتركنا من أحوال النّاس، وخاصّة هؤلاء.. منتجات العصر الرّديء هذا ومهرّجيه. نعم؟ ماذا تقول؟ لا يهمّني النّاشرون والقرّاء والصّحف ومن لفّ لفهم. من أنا ليكون لي دخل بهم.. هؤلاء الأغبياء! اتركنا، أقول لك. ماذا تعمل أنت؟ أين كنتَ يوم الخميس الماضي؟ عرفت. تهرب من البيت بدعوى اللّعب مع الجماعة، لتذهب تعمل الذي لا يُسمّى. براعة، تعتقد؟ أظنّها خفّة صبيانيّة ونزوعاً طفولياً للتمرّد.

[يضحك]

كلاّ. كلاّ. لم أذهب أنا الآخر. لا طاقة ماليّة بي لتحمّل الخسارات المتكرّرة. اسمع، أبا أكرم، أردتُ أن أحدّثك عن قضية الأخ ماجد وشركته. إن بعض تصرّفاته غير مريحة.. أعني على المستوى الاقتصادي. ماذا؟ لا يمكن غضّ النّظر عنها لأنّها، على المدى البعيد، ستؤدّي إلى كارثة. أعلم. أعلم. كلّنا متعوّدون على الكوارث، ولكن هذه كارثة من نوع خاصّ قد تشمل وزارتنا وشركته وما بينهما.

[يضحك]

كلاّ. ما أردتُ أن أقوله هو التحلّي بالصّبر قليلاً وإبداء بعض المرونة والاحترام. لا فائدة من الكلمات الكبيرة الفارغة، أليس كذلك؟ ماذا تقول؟ بالطّبع. كلا. لماذا؟ فهمت، فهمت. حسن جدّاً أن تقول لي هذا. لا أعرفه ولا أريد أن أعرفه. يشبه من؟ أبو لقمان؟ يالله!

[يضحك]

ذكّرتني.. آه.. ذكّرتني بحلم غريب.. غريب رأيته ليلة أمس. اسمع منّي قليلاً.

[لحظات]

أم يستحسن أن.. اللّعنة. اسمعْ رأيتُ نفسي في الحلم وقد قمتُ بانقلاب.. آه.. مالك تصرخ هكذا؟ طرّشت أذني. أقول لك رأيتُ حلماً. لم أفعل أنا شيئاً، ولكنّي رأيت الحلم. أتراك جننت؟ دعني أكمل. لا تريد أن أكمل؟ إذن، اسمع. ونجح الانقلاب بالصّدفة. أو بقوّة الله. لا أعلم. وجلسنا نتباحث في أمور الدّولة. كنتُ الرّئيس. رئيس أيّ شيء؟ لا أعرف. رئيس الوزراء كما أعتقد؛ لأنّي كنتُ جالساً في صدر المائدة المستطيلة. وضع غير مريح إطلاقاً؛ ولكنّي، كما بدا لي، كنتُ ملزماً به؛ وكنت متضايقاً من هذه الوجوه المرصوصة أمامي. من هم؟ الوزراء طبعاً، من تظنّ؟ أعرفهم ولا أعرفهم. على كل حال، كنتُ أتعرّف عليهم. كانوا خمسة.

[يضحك]

لا يمكنك أن تتصوّر الوضع. وزير الدّفاع.. تخيّل.. كان يلبس بذلته العسكريّة ويضع طرطوراً أحمر على رأسه. نظرت إليه.. أتعرف من هو؟ كان هو نفسه شرطيّ المرور ذا الشّارب الكثيف الذي يقف أمام دائرتنا. لا أعرف اسمه. لا تزعجني بهذه التّفاصيل. سألته هل من المناسب أن يضع طرطوراً أحمر هكذا على رأسه في أوّل اجتماع ثوري لنا؟ فهزّ رأسه بهيئة العليم بالأمور وأجابني بأن هذا هو التقليد العسكري الأصيل ولا يمكن أن نتجاوزه.

[يضحك]

لماذا نرى مثل هذه الأحلام؟ أم أننا لا نراها كما يعني فعل الرّؤية، بل نحسّ بها أو.. لنقل.. نتّصل بمعناها بشكل من الأشكال؟ لا أدري في الحقيقة. كان هنالك أيضاً وزير الدّاخلية، جالساً في مكان مظلم من المائدة وهو يضع قناعاً على وجهه. سألته.. أخي، من أنت؟ فهزّ رأسه دون جواب؛ عندئذٍ نبس وزير الدّفاع مفسّراً بأنّه لا يريد أن يتكلّم لئلاّ نعرف هويّته من صوته! فشعرت بالحيرة وخطر لي أن أوضح لهؤلاء منذ البداية بأنّ الثّورة هي العدل والوضوح لا الظّلم والتّخفّي. عند ذاك وقع بصري على وزير العدل.. ذلك المسكين كاتب العرائض الذي يجلس في مدخل دائرتنا. كان منزوياً في ركن، ونصفُ وجهه مختفياً تحت المائدة وعيناه تتطلّعان بخوف إلينا. هتفت به.. يا وزير العدل، العدل لا يخشى أحداً، هيا ارفع وجهك وانظرْ إلينا بوضوح. فبقي يقلّب عينيه ويتمتم.. سيدي الرّئيس، الوضوح مخيف.. الوضوح مخيف. تملّكتني دهشة شديدة وعدم تصديق ورحت أتساءل عمّن زجّني في هذا الموقف المريب؛ ولكنّي شعرتُ بصورة غريبة أن عليّ الاستمرار فيه إلى نهاية الخط. نعم؟

[يضحك]

كما تشاء.. نهاية خطّ السّكّة! وكان معنا ذلك المصوّر.. تعرف محلّه قرب سينما الأندلس أمام عمارة الفرح.. ذاك الأرمني الذي صوّر الموظّفين عند تشكيل الهيئة الاستشارية الجديدة.. هل عرفته؟ نعم.. نعم. هو نفسه.. لا يتقن العربيّة. طبعاً.. أرمني. كان عندنا في الحلم هو أيضاً وزيراً لما يسمّى بوزارة الدّعاية والتّصوير. تبادلنا الابتسام.. أنا وهو. هذا هو كلّ شيء. ثمّ جاء دور أبي لقمان الورد الذي ذكّرني بكل هذا. كان جالساً.. بل يمكنني أن أقول: متربّعاً كالدّيك الرّومي في كرسيّه العالي. سألته.. أنت يا أبا لقمان.. ألستَ صاحب حانة في الباب الغربي؟ ما أنت إذن ووزارة السّيارات؟ كانت عندنا وزارة سيّارات.. تصوّر الدّقّة في التّعبير! وبدل أن يجيبني بما يقتضي من الذّوق واللّياقة، أخذ يصفر لحناً سمفونياً هو مطلع الخامسة لبيتهوفن!

[يضحك]

وهكذا كانت حفلة التّعارف الثّوريّة تلك. ماذا عملنا بعد التّعارف؟ لا شيء. بقينا نعيد الكلام نفسه والحركات الغبيّة والابتسام.. وانتهى الحلم.. أيّة مهزلة! أترى؟ ماذا تقول؟ أفكّر بماذا؟ أأنت مجنون.. أم تظنّني مجنوناً؟ ما علاقة الحلم بالواقع.. ما علاقة الإنسان بأحلامه؟ من يدري! نوع من الواقع المستتر؟ حياة سرّيّة تحاول أن ترفع رأسها؟ لا علم لي

ولكنّك تلقي بنظريّات لا أساس لها من الواقع. ماذا أقول بمنطق الأحلام؟ لا أقول شيئاً، لأنّي لا أعرف مثل هذا المنطق. الحلم قد يكون تجربة ذاتيّة.. هو بالتّأكيد تجربة ذاتية ومعاناة شخصيّة صرفة؛ ولكنّه كالفكرة بحدّ ذاتها، لا علاقة له بالآخرين كما أعتقد. نعم؟ هذا صحيح إلى حدّ ما. كلا، في الحقيقة. لقد استيقظتُ منزعجاً، مرتبكاً يابس الفم.. في الحق، من كثرة الكلام.. الكلام الفارغ. اسمع يا أبا أكرم، أرجو ألاّ أكون قد أطلتُ عليك. لديّ أشغال كثيرة لا أدري كيف نسيتها. كلّمني إذا حصلتْ تطوّرات جديدة في قضية الأخ ماجد.. أعني إذا حصل تغيير في وجهات النّظر. يوماً سعيداً. معذرة مرّة أخرى وإلى لقاء قريب.

[يضع المدير العام سماعة التّلفون مكانها ثمّ يلتقط نظّارته ليعاود القراءة من جديد. يضغط على زرّ الجرس فيدخل خميس بعد قليل].

المدير العام ـ خميس.. نادِ لي عبد المحسن وهات شاياً.

[يخرج خميس.

لحظات أو دقائق أو ساعات.. يدخل خميس حاملاً قدح الشّاي ويغلق الباب ثمّ يتقدّم بهدوء نحو مكتب المدير العام.

تُسمع، في الخارج، ضجّة عالية. يقف خميس قبل وصوله المكتب متردّداً ويلتفت نحو الباب. يرفع المدير العام نظره عن الأوراق. تزداد الضجّة ارتفاعاً وتقترب. ترتسم على وجه المدير العام علامات دهشة وتساؤل. بضربة قويّة ينفتح الباب ويندفع جمع من لابسي الكاكي، مسلّحين بأنواع مختلفة من الأسلحة. يحيطون بالمائدة ويضع أحدهم فوهة مسدّسه على رأس المدير العام. يكلّمه صارخاً].

لابس الكاكي ـ ولا كلمة. إذا تحرّكت سأفجّر رأسك. أنت موقوف. انكشفت المؤامرة.

المدير العام ـ مأخوذاً، مذهولاً ـ مؤامرة!؟

لابس الكاكي ـ ولا كلمة!

[يتناول سمّاعة التلفون ويدير رقماً. لحظة]

سيّدي، كبسنا المجرم في مكتبه. نعم، كلّهم، سوىٰ واحد. ذلك الوغد وزير الدّاخلية. نعم. سننتزع اسمه من هذا المجرم. كلّ شيء على ما يرام يا سيّدي.

المدير العام ـ وزير الدّاخليّة! أيّ وزير داخلية؟

لابس الكاكي ـ تظاهر بما تشاء الآن. ستعترف إن عاجلاً أم آجلاً.

المدير العام ـ يا للشّيطان! إنّهم يخلطون الأمور!

لابس الكاكي ـ سنرى. سنرى. تقدّم أمامي.

[يسحبون المدير العام من وراء مكتبه فيسير أمامهم مضطرباً].

خميس ـ قفوا يا إخوان. أنتم مخطئون. إنّه المدير العام.

[يوجه الكلام إليه متوسّلاً]

بالله يا سيّدي.. ما معنى كل هذا؟

المدير العام ـ تمالك نفسك يا خميس. إنّها التتمّة.. تتمّة الأحلام.

[يخرجون]

تونس ـ

قريباً عن دار الآداب

خاتم الرمل

(رواية)

فؤاد التكرلي